الفَصْلُ الثَّاني

رَسائلُ سِياسيَّةٌ

١ ـ رسالةٌ من عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى أُمراءِ الأجْنَادِ:

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص: ٦٩

لمَّا وَلِيَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ كَتَب إلى أُمراءِ الأجْنَادِ:

«أمَّا بعدُ، فإنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ولُزُوم[١] كتابِه، والاقْتِداءِ بسُنَّةِ نَبيِّهِ ﷺ، وهَدْيِهِ[٢]، فإنَّ الله قد بَيَّنَ لكم ما تَأْتُونَ وَما تَتَّقُونَ، وأَعْذَرَ[٣] إليكم في الوَصِيَّةِ، وأَخَذَ عليكم الحُجَّةَ، حينَ أَنْزَلَ عليكم كتابَهُ الحفيظَ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[٤]، قال[٥]: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾، وقال[٦]: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾. فأَقِيمُوا فَرائِضَهُ[٧]، واتَّبِعُوا سُنَنَهُ، واعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ[٨]، واصْبِرُوا[٩] أَنْفسَكم عليه، وآمِنُوا بِمُتَشابِهِه، فإنَّ الله عَلَّمكم منه ما عَلَّمكم، وأَوَّلُكُمْ يومئذٍ أَقَلُّ الناس شوكةً[١٠]، وأَوْهَنُهُ[١١] قُوةً، وأَشدُّهُ فُرْقةً،

---

(١) لزمَ الأمرَ: لم يُفارقه.

(٢) الهَدْيُ: الطريقة والسِّيرة.

(٣) أعْذرَ إليه: عَذَرَه وجَعَلَهُ مَوْضِعَ العُذْرِ.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٥.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٥١.

(٧) فَرائضُ اللهِ: حُدُودَه التي أمَرَ بِها ونَهَى عنها.

(٨) المحْكَمُ: المُفَصَّلُ من القرآن، لأنه لم يُنْسَخْ منه شيءٌ، وقيل: هو ما لم يكن متشابهاً، لأنه أحكم بيانُهُ بنفسه، ولم يَفْتَقِرْ إلى غيره.

(٩) صَبَرَ نَفْسَهُ على الأمْرِ: حَبَسَها عليه.

(١٠) الشوكة: شدَّة البأس.

(١١) الأوْهَنُ: الأضْعَفُ.

وأَحْقَرُهُ عندَ مَنْ سِوَاهم من النَّاسِ مَحْقِرَةً[١]، ليسَ لهم من اللهِ حَظٌّ في الهُدَى[٢] يَرْجِعونَ به إليه، مع أَنَّ الدُّنيا ومَواضِعَ أَمْوَالِها وَعَدَدَها وجَماعَتَها ونِكَايَتَها[٣] في غَيْرِهم، حتى إذا أَرادَ اللهُ إكرامَهم بكتابِهِ وَنَبيِّهِ بعثَ إليهم محمداً ﷺ، عبدَ اللهِ ورسولَهُ بالحقِّ بشيراً يُبَشِّرُ بالخيرِ الذي لا خَيْرَ مِثْلَهُ، ويُنذِرُ الشَّر الذي لا شَرَّ مِثْلَهُ، وأَخَّرَهُ اللهُ لذلكَ في القُرُونِ، وسَمَّاهُ على لسانِ مَنْ شاء من أَنبيائِهِ الذين سَبَقُوا، وأَخذ عليهم ميثاقَ جَماعتهم قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[٤]، فأَخَّرَ اللهُ ذلك لمحمد ﷺ، حينَ بَعَثَهُ رحمةً للعالمين ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[٥]، وأحكمَ اللهُ في كتابِهِ ما رَضِيَ من الأُمورِ، فما جعلَ من ذلك حَلالاً فهو حلالٌ إلى يوم القيامة، وما جَعَل من ذلك حراماً فهو حرامٌ إلى يومِ القيامةِ، وعَلَّمَهُ سُنَّتَهُ فَفَهِمها وعَمِلَ بها بين ظَهْرَيْ[٦] أُمَّته. فصلَّى الصلوات لوَقْتِها كما أَمَرهُ الله، وعَلِمَ مَواقِيتَها التي وَقَّتَها اللهُ له، فإنَّه قالَ[٧]: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾، ودُلُوكُ الشَّمْسِ مَيْلُها بعدَ نِصْفِ النَّهار، فلما نعتَ اللهُ في هذه الآيةِ وَقْتَ صلاةِ الظُّهْرِ والْعَصْرِ والمغرب، ثم قال في آية أُخرى[٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ

---

(١) المحقِرةُ: الحقارة، أي الذِّلة والاستِصْغار.

(٢) الهُدَى: الرَّشاد.

(٣) النِّكاية: الهزيمةُ والغلبةُ، يقال: نكَى في العَدُوِّ، أي هَزَمَهُ وغَلَبَهُ، أو كَثَّرَ فيهم الجِراحَ والقَتْلَ فَوَهَنُوا لذلك.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٤٦.

(٦) كلُّ ما كان في وَسَطِ شيءٍ ومُعْظمه فهو بينَ ظَهْرَيْه وظَهْرَانَيْهِ. وفلانٌ بين ظَهْرَيْنا وظَهْرَانَيْنا وأَظْهُرِنا بمعنىً واحدٍ، أي وَسَطَنا.

(٧) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٨) سورة النور: الآية ٥٨.

﴿ٱلْعِشَآءِ﴾، وصلاةُ العِشاءِ صلاةُ العَتَمَةِ، فهذه الصلواتُ قد جَمَعَها القرآنُ وبيَّنها محمدٌ ﷺ، ثم فَرَضَ رسولُ اللهِ ﷺ، الزكاةَ على أمرِ اللهِ في العَيْنِ[١] والحَرْث[٢] والماشيةِ، وبيَّنَ مواضعَ ذلك فقال[٣]: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، حتى استقامتْ سُنَّتُها في الأخْذِ حينَ تُؤْخَذُ، وفي القِسْمةِ حينَ تُقْسَمُ، فعَمِلَ بها المسلمونَ في جزيرةِ الْعَربِ، حتى عَلِمُوها أو كلُّ ذي عقلٍ منهم. ثم غَزَا رسولُ الله ﷺ بنفسهِ غيرَ مرَّةٍ، وأَغْزَى الجيوشَ والسَرَايا[٤]، يَقْسِمُ إذا كانَ حاضراً، ويأمُرُ مَنْ تولَّى أمرَ جيوشِهِ وسراياهُ بالذي أَمَر اللهُ به مِنْ قَسْمِ ما أَفَاءَ[٥] اللهُ عليهِ وعليهم، فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالَى قالَ[٦]: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾. ثم أَمَرَهُ اللهُ في الحَجِّ بما أَمَرَهُ فقالَ[٧]: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾. ثُم أَفاءَ اللهُ على رسولِهِ محمدٍ ﷺ أموالَ قرىً لم يُوجَفْ[٨] عليها خَيْلٌ ولا ركابٌ[٩]، فقالَ فيها: لتكون سُنَّةً فيما يَفْتَحُ اللهُ من القُرَى بعدَها[١٠]: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ

(١) العَيْنُ: المال العَتِيدُ الحاضرُ القاضّ، أي الظاهرُ الحاصلُ.

(٢) الحَرْث: الزَّرْع.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦١.

(٤) السَّرايا: جمعُ سَرِيَّةٍ، وهي الطَّائفةُ من الجيْشِ يَبْلغُ أقْصاها أرْبعمائةٍ.

(٥) أفاه عليه: رَدَّ إليه وَرَجَع، يقال: أفَأْتُ عليهم فَيْئاً إذا أخَذْتَ لهم فيئاً أخِذ منهم.

(٦) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٧) سورة الحج: الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(٨) الإيجاف: سُرْعَة السَّيْرِ، وأوْجَفَ دابَّتَهُ: حثَّها.

(٩) الرِّكاب: الإبل التي يُسار عليها، واحِدَتُها راحلةٌ. ولا واحِدَ لها من لفظها، وجمعها رُكُبٌ بضَمِّ الكافِ مثل كُتُبٍ.

(١٠) سورة الحشر: الآية ٦.

مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾، وقال[١]: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾. ثُمَّ سَمَّى في هؤلاءِ الآياتِ الذي للمسلمينَ، فليس لأحدٍ منهم قِسْمٌ[٢] إلاَّ وهو في هذه الآيات، فقال[٣]: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾، وأهلُ هذهِ الآيةِ مَنْ خَرَجَ من بلادِهِ مُهاجراً إلى المدينةِ، وليس فيهم الأنْصارُ، ثم قال[٤]: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾، وأهلُ هذهِ الآيةِ مَنْ كانَ بالمدينةِ من الأنْصارِ، فإنَّ هجرةَ رسولِ اللهِ ﷺ، كانتْ إليهم، ثمَّ قالَ في الآيةِ الثالثةِ، وهي التي جَمَعَتْ حَظَّ مَنْ بقيَ من المسلمينَ بعدَ هذينِ الصِّنْفَيْنِ الأَوَّلَيْنِ في الإسلام، وقَسْمِ المالِ[٥]: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، فهم جماعةُ مَنْ بقيَ من أهلِ الإسلام، ومَنْ هو داخلٌ فيه بعدَ الهجرةِ الأُولى، حَتَّى تَنْقَضِيَ الدُّنيا، ففي الذي عَلَّمَكُمُ اللهَ من كتابِهِ، والذي سَنَّ رَسولُ اللهِ ﷺ، من السُّنَنِ التي لم تَدَعْ شيئاً من دِينِكُمْ ولا دُنياكم نعمةٌ عظيمةٌ، وحقٌّ واجبٌ في شكرِ اللهِ كما هَدَاكم وعلَّمكم ما لم تكونُوا تَعْلَمُون. فليس لأحدٍ في كتابِ اللهِ ولا في سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أمرٌ ولا نهيٌ إلاَّ إنفاذُهُ[٦]، والمجاهَدَةُ[٧] عليه.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) القِسْمُ: الحَظُّ والنَّصيب.

(٣) سورة الحشر: الآية ٨.

(٤) سورة الحشر: الآية ٩.

(٥) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٦) إنفاذه: إمضاؤه وقضاؤه وأداؤه.

(٧) المجاهدة: المقاتلة والمحاربة.

وأَمَّا ما حَدَثَ[١] من الأُمورِ التي تُبْتَلَى[٢] الأَئمةُ بها مما لم يُحْكِمْهُ الْقُرآنُ، ولا سُنَّةَ النبيِّ ﷺ، فإنَّ واليَ أَمرِ المسلمينِ وإمامَ عَامَّتِهم[٣]، لا يُقَدَّم[٤] فيها بَيْنَ يَدَيْهِ، ولا يُقْضَى[٥] فيها دونَهُ، وعلى مَنْ دونَهُ رَفْعُ[٦] ذلك إليه، والتَّسْليمُ[٧] لما قَضَى.

وقد أَحْبَبْتُ في كتابي هذا أَنْ تَعْرِفُوا الحالَ التي كُنْتُمْ عليها قبلَ نُزُولِ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبيِّهِ من الضَّلالةِ والْعَمَى وضَنْكِ[٨] المَعِيشَةِ، والذي أَبْدَلَكُمُ اللهُ من الكرامةِ والنَّصْرِ والْعافيةِ والجماعة، وسلبَ لكم مما كانَ في يدِ غيرِكُمْ ممَّا لم تَكونُوا لِتَسْلُبوهُ بِقُوَّتكم لو وكَلَكُمْ[٩] إلى أَنْفُسِكُمْ. كانَ قد شَرَطَ ذلك للمؤمنينَ، وأَعطاهُمْ إيَّاه إِذْ شَرَطَ عليهم شَرْطَهُ، فقد وَفَّاكم اللهُ ما شَرَطَ لكم، وهو آخِذُكُمْ بما اشْتَرَطَ عليكم قال[١٠]: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾، فقد أَنْجَزَ[١١] اللهُ لكم وَعْدَهُ فأَنْجِزُوا دِيْنَ اللهِ في رِقَابِكُمْ أَنْ يَكْفُرَ كافرٌ بنعمةِ اللهِ، أَو يَنْسَى بلاءهُ[١٢]، فَيَجِدَهُ على اللهِ هَيِّناً[١٣]، ويَطُولَ خلودُهُ فيما لا طاقةَ له به.

ثم إِنِّي أَحببتُ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ كانَ جاهلاً من أَمري، والذي أَنا عليهِ ممَّا لم أَكنْ

---

(١) حَدَث: وَقَع أو جَدَّ وطَرَأ.

(٢) تُبْتَلَى: تُختبر وتُمْتَحن.

(٣) عامَّةِ المسلمين: جماعتهم.

(٤) لا يُقَدَّمُ فيها بين يديه: أي لا يُقَدَّم كلام قبلَ كَلامِهِ. ويقال: فلانٌ يَتَقَدَّمُ بينَ يَدَيْ أبيه، إذا عجَّل في الأمْر والنَّهْي دُونَهُ.

(٥) لا يُقْضَى فيها دُونه: لا يُحْكَمُ فيها ولا يُفْصَلُ قبْلَهُ.

(٦) رَفَعَ إليه الأمرَ: قَدَّمَهُ وَبَلَّغَهُ.

(٧) التَّسْليمُ لِمَا قَضَى الرِّضَا به والانْقيادُ له والإذْعَانُ.

(٨) الضَّنْك: الضِّيقُ والشِّدَّةُ.

(٩) وَكَلَهُ إلى نَفْسِهِ: صَرَفَ إليها أَمْرَهُ وكَلَّفَها القيامَ به، أو تَرَكَهُ.

(١٠) سورة النور: الآية ٥٥.

(١١) أَنْجَزَ وَعْدَه: وفى به وقضاهُ وأتمَّهُ.

(١٢) البلاء: الإحْسَانُ والإنْعَام.

(١٣) الهَيِّنُ: السَّهْلُ الخفيف.

أُريدُ به المَنْطِقَ[١] في يَوْمي هذا، حتى رأيتُ أَنَّ المنطقَ ببعضه هو أَقربُ إلى الصَّلاح في عاجلِ الأَمرِ وآجِلِهِ، للذي قد أفْضَى إليَّ من هذا الأَمرِ وأَنا أَعْلمُ من كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ نبيِّهِ عليه السلامُ، ما سلفَ عليه أَمرُ الأَئمةِ بينَ يديَّ علماً من الله علَّمنيه مَنْ لم يكنْ له شُغُلٌ[٢] عنه، وقد كان شُغلي الذي كتبَ اللهُ أَنْ أَبْتَلَى به عاملاً منه بما عَمِلْتُ، أَو قاصراً[٣] منه على ما قَصَرْتُ، فما كان من خيرٍ عَلمْتُهُ فَبِتَعْليمِ الله ودَلالته[٤]، وإلى اللهِ أَرغبُ في بَرَكَتِهِ، وما كان عندي من غيرِ ذلك من داءِ الذُّنوبِ، فأَسأل الله الْعظيمَ تجاوُزَه[٥] عني بِمَغْفِرتِه[٦]. فلَعَمْري ما ازْدَدْتُ علماً بالولايةِ إلاَّ ازْدَدْتُ لها مَخافَةً، ومنها وَجلاً[٧]، ولها إعظاماً، حتى قَدَّرَ اللهُ لي منها وقدَّرَ عليَّ ما قَدَّرَ، فأَنا أَشدُّ ما كنتُ لها اسْتِثْقالاً[٨]. ثم أَحسنَ اللهُ حميدَ أعواني وعَاقِبتي وعاقبةَ مَنْ وَلاَّني أَمرَه، فأَصْلَح أَمرَهم، وجَمع كلمتَهُمْ، وبَسَطَ[٩] عليَّ من نِعَمِه[١٠] وعليهم ما لم يكنْ دعائي ولا دعاؤهم لِيَبْلُغَهُ عندَ الله به ثوابي، وعندَهُ به جَزائي من صلاحِ عَامَّتهم، وأَداءِ[١١] حُقُوقهم إليهم، والْعَفْوِ[١٢] عن ذي الذَّنْبِ منهم.

وقد أَعْطَاني من ذلكَ، ولهُ الحَمْدُ في عاجلِ الدُّنيا، وجماعةٍ[١٣] من الشَّمْلِ،

---

(١) المنْطِقُ: الكلام.

(٢) شُغِلَ عن الأمر: تَعلَّقَ بغيرِهِ.

(٣) القَاصِرُ: العَاجِزُ، يقال: قصَرَ عَن الأمرِ، أي عَجَزَ عنه ولم يَسْتَطِعْهُ، أي لم يَنَلْهُ ولم يَبْلُغْهُ.

(٤) الدَّلالة: الهدايةُ والتوفيق.

(٥) تجاوز عنه: صفح عنه.

(٦) المغفرة: التَّغْطِية والسَّتر، يقال غَفَر اللهُ ذنُوبَهُ، أيْ سَتَرها.

(٧) الوَجَل: الفَزَع والخوف.

(٨) اسْتَثْقَلَ الشيءَ: رآه ثقيلاً.

(٩) بَسَط: نَشَر.

(١٠) النِّعَمُ: جمع نعْمةٍ، وهي الخَفْضُ والدَّعةُ والمالُ.

(١١) أداءُ الحقوق: قضاؤُها.

(١٢) العَفْوُ: الصَّفْحُ والتجاوز عن الذَّنْبِ وتَرْكُ العقابِ عليه.

(١٣) الجماعةُ: الجَمْعُ أو الجميع. والجميع المجتمعون، والمعنى اجتماع الشَّمْل.

وصَلاحِ ذاتِ الْبينِ[١]، وسعةٍ في الرِّزقِ، ونَصْرٍ على الأَعداءِ، وكفايةٍ[٢] حسنةٍ، حتى أَغْنَى[٣] لأَهل كلِّ ذي جانبٍ من المسلمينَ جانِبَهم، وَوَسَّعَ عليهم الرِّزْقَ، ولا يَرَى أَهلُ كلِّ ناحيةٍ إلاَّ أَنهم أَفْضَلُ قِسْماً مما بَسَطَ اللهُ لهم من رِزْقِهِ ونِعَمِهِ من أَهلِ النَّاحيةِ الأُخرى. فإِنْ تَعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم، وتَشْكُروا فَضْلَهُ فأَحْرِص بي على ذلك، وأَحْبِبْ به إِليَّ. قد يعلمُ الله كيفَ دُعائي بذلك، وكيفَ حِرْصي عليه عَلانيةً، وإِنْ يَجْهَلْ ذلك جاهلٌ أَو يُقَصِّرَ عنه رأْيَهُ، فإِنَّ الذي حَرَصْتَ عليه أَنْ أَحْمِلَكُمْ[٤] عليه من كتاب الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ محمدٍ ﷺ، هو حُجَّتي في الدُّنيا، وبُغْيَتي فيما بَعْدَ الموتِ، ولا تَلْبِسُوا[٥] ذلك بغيرِه. إِيَّاكُم أَنْ يَشْتِبِهَ[٦] في أَنْفُسكم ما حَمَلْتُكُمْ عليه من كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبيِّه. وأَما ما سِوَى ذلك من الأُمورِ التي من رَأْيِ النَّاسِ فإِني لَعَمْري لولا أَنْ أَعملَ ذلك فيكم ما وَلِيتُ أَمرَكم، وإِنْ تَعْمَلُوا به ما نَفِستُ[٧] الذي أَنا فيه من الدنيا على أَبغضِ[٨] الناسِ رجلٍ[٩] واحدٍ إذا حَجَزَهُ[١٠] اللهُ على دِيني أَنْ يَفْتِنَني[١١]، ولا كنتُ أَرَى المنزلَ الذي أَتى به لمنْ عَسَى أَنْ يَعْمَلَ بغيرِ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّه غبطةً[١٢] ولا كرامةً ولا رفعةً[١٣]، ولا الدنيا ومَا فيها. فَمن كان سائلاً عن

---

(١) البَيْنُ: الفِرَاقُ والوَصْل، وهو بمعنى الفِراق ههنا، لأن اسْتعمالهُ فيهِ أشهر من استعماله في الوصل. (انظر البحر المحيط ٤: ٤٥٧).

(٢) الكفاية: الغِنَاء والنفْعُ.

(٣) أغناه اللهُ: جَعَلهُ من أَهْلِ الغِنَى، أي الثَّرْوةِ واليَسارِ.

(٤) حَمَلهُ على الأَمْرِ: أرادَهُ عَليه وأَغْرَاهُ به.

(٥) لبسَ الأَمْرَ بغيره: خلطه.

(٦) اشْتَبَه الشيءُ: اختلط وأشْكَلَ.

(٧) نَفِسَ عليه: حَسَدَهُ.

(٨) أَبْغَض النَّاس: أكرَههم وأَمْقَتهم.

(٩) كذا بالأصل.

(١٠) حَجَزَه على الأمر: حَبَسَهُ أو قَصَرَهُ عليه.

(١١) فَتَنَهُ: أَضَلَّهُ وأَغْوَاهُ.

(١٢) الغِبْطَةُ: النِّعْمَةُ والسُّرورُ.

(١٣) الرِّفعَةُ: الشَّرَفُ والثَّناء.

الذي في نَفْسي، وعن بُغْيَتي في أَمرِ أُمةِ محمدٍ ﷺ، فإن الذي في نَفْسي وبُغْيَتي[١] منه والحمدُ للهِ ربِّ الْعالمين أَنْ تَتَّبِعُوا كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّهِ، وأَن تَجْتَنِبُوا[٢] ما مالتْ إليه الأَهواءُ[٣] والزَّيغ[٤] الْبَعيدَ، ومن عَمِلَ بغيرِهَا فلا كَرَامةَ ولا رفعةَ له في الدُّنيا والأُخْرَى. وليَعْلَم مَنْ عَسَى أَنْ يُذكَرَ له ذلك أَنْ لَعَمْرِي أَنْ تَمُوتَ نَفْسي أَولَ نفسٍ أَحبُّ إِليَّ من أَن أَحْمِلَهُمْ على غير اتِّباعِ كتابِ ربِّهم وسُنَّةِ نَبِيِّهم التي عاشَ عليها مَنْ عاشَ، وتوفَّاه الله عليها حين تَوَفَّاهُ إِلاَّ أَنْ يأْتيَ عليَّ من ذلك أَمرٌ وأَنا حَرِيصٌ على اتِّباعه، وإِنَّ أَهْوَنَ النَّاسِ عليَّ تَلَفاً[٥] وحزناً لَمَنْ عَسَى أَنْ يريدَ خلافَ شيءٍ من تلكَ السُّنَّةِ وذلك الأَمرِ الذي رَفعَنا ونحنُ بِمَنزِلَةِ الوَضِيعةِ[٦]، وأَكْرَمَنا ونحن بمنزلةِ الهَوانِ، وأَعَزَّنا ونحن بمنزلة الذُّلِّ، معاذَ الله من أَنْ نَسْتَبْدلَ بذلك غيرَه، ومعاذَ اللهِ مِنْ أَنْ نَتَّقِي أَحداً، فإذا تَكَلَّمْتُمْ في مَجَالِسِكُمْ، أَو ناجَى[٧] الرَّجُلُ أَخاهُ. فَلْيَذْكُرْ هذا الأَمرَ الذي حَضَضْتُكُمْ عليه من إِحياءِ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّه، وتَرْكِ ما خَالَفَ ذلك. فإِنَّهُ ليس بعدَ الحقِّ إِلاَّ الباطلُ، ولا بعد البَصَر إِلاَّ الْعَمى، وليَحْذَرْ قومٌ الضلالَة بعد الهُدَى، والْعَمَى بعدَ البصر، فإِنه قالَ لقوم صالح[٨]: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾. اتَّبِعُوا ما تُؤْمَرونَ به، واجْتَنِبُوا ما تُنْهَوْنَ عنه، ولا يُعَرِّضْ[٩] أَحدُكم بنفسهِ، فإِنَّهُ ليسَ لي في دنياكم والحَمْدُ للهِ رَغْبَةٌ، لا في ما في يَديَّ منها، ولا ما في أَيْدِيكُمْ، وليسَ عندِي

---

(١) البُغْيَةُ: الطَّلِبةُ والحاجة.

(٢) اجتنب الشيء: بَعُد عنه.

(٣) الأهواء: جمع هَوًى، وهو الإرادةُ والرَّغْبةُ والشَّهْوةُ.

(٤) الزَّيْغُ: المَيْلُ.

(٥) التَّلَفُ: الهلاكُ والعَطَبُ.

(٦) الوَضائع والوَضيعة: قومٌ كان كسرى يَنْقُلُهم من أَرْضهم فيُسْكِنهم أرضاً أخرى، حتى يصيرُوا بها وَضِيعةً أبداً، وهم الشَحْنُ والمَسالح. قال الأزهري: الوضيعةُ: الوضائع الذين وَضَعَهم، فهم شِبْهُ الرَّهائن، كان يَرْتهِنُهم ويُنْزِلهم بَعْضَ بلادِه.

(٧) ناجاه: سَارَّهُ.

(٨) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٩) عَرَّضَ بنَفْسِه: عَرَّضها للهَلاك، وألْقَى بها في التَّهْلُكَةِ.

مع ذلك صَبْرٌ على انْتِقَاصِ شيءٍ من كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ، عليه السلام، ولا اسْتِبْقَاءٌ[١] لمن خالفَ والحمدُ للهِ ولا نَعْمةَ عينٍ[٢]. ولعمري إنَّ مَنْ يَعْمَلْ ذلك منكم لحقيقٌ أَنْ يَظُنَّ بامرئٍ لا حاجةَ له في دُنْيَاكم، ولا صَبْرَ له على زَيْغِكم عن دِينكم، ولَجاجَتِكم[٣] فيما لا خَيْرَ لكم فيه أَنه جَرَّأَ على هِراقةِ دَمِ مَن انْتَقَصَ كتابَ الله، أَو زَاغَ عن دينهِ، وسُنَّةِ نَبِيِّهِ محمدٍ رسول الله ﷺ.

هذا نحوٌ من الذي قِبَلِي، قد بَيَّنْتُه لكم. ولعمري لَتَخْلُصَنَّ[٤] جَماعَتُكم أَيُّها الجُنْدُ وخِياركم مما يُكْرَهُ من الأُمورِ، وَلَتَتَّبِعُنَّ أَحسنَ ما تُوعَظُون به إن شاء الله. أَسأَل اللهَ برحمتهِ وسَعَةِ فَضْلِه، أَنْ يَزِيدَ المُهْتَدي هدىً، وأَنْ يُراجِع بالمسيءِ التَوْبة في عافيةٍ منه، وأَنْ يَحْكُمَ على من أَرادَ خلافَ كتابهِ وسُنَّةِ نبيِّهِ، عليه السلام بحكمٍ يُغْلَبُ[٥] به في خاصَّتهِ ويُعَجِّلُهُ له، فإِنَّه على ذلك قادرٌ، وأَنا إليه فيه راغبٌ، ويُحْسِنَ عاقبةَ الْعامَّةِ، ولا يُعَذِّبنا بِذَنْبِ المسيءِ. والسلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله».

٢ ـ رسالةٌ من عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى الضَّحَّاك بنِ عبدِ الرَّحمن الأشعَريّ:

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص: ١٠٣

كَتَبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى الضَّحاكِ بن عبدِ الرَّحمن بنِ عَرْزبٍ الأَشْعَرِيّ، واليه على دِمَشْقَ:

«أَمَّا بعدُ فإِنَّ اللهَ جعلَ الإِسلامَ الذي رَضِيَ به لنفسِهِ ومَن كَرُمَ[٦] عليه من خَلْقِهِ، لا يَقْبَلُ اللهُ ديناً غيرَهُ، كرَّمَهُ بما أنزلَ مَن كتابهِ الذي فَرَقَ به بينَ الإِسلامِ وبين ما سواه، فقال[٧]: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ

(١) الاسْتِبْقاء: الاستحياء، والإبقاءُ: الرَّحْمة والإشْفاق.

(٢) ونَعْمةَ عَيْنٍ: أي أفعل ذلك كرامةً لك وإنعاماً بِعَيْنك وما أشْبَهَهُ.

(٣) لجَّ في الأمر: تمادَى عليه وأبَى أنْ يَنْصَرِفَ عنه.

(٤) خَلُصَ: سَلِمَ وبَرِئَ.

(٥) يغلب: يَقْهَرُ.

(٦) كَرُمَ عليه: عَزَّ عليه، أي صارت له مكانةٌ رفيعةٌ عنده.

(٧) سورة المائدة: الآيتان ١٥، ١٦.

﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾. وقال[١]: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾. فبعثَ اللهُ محمداً ﷺ حينَ بَعَثَهُ، وأَنْزَلَ عليه الْكتابَ حينَ أَنْزَلَهُ، وأَنتم مَعْشَرَ الْعربِ فيما قد عَلِمْتُمْ من الضَّلالةِ والجَهالةِ والجَهْدِ[٢] وَضَنكِ[٣] العَيْشِ وتَفرُّقِ[٤] الدَّارِ، والْفتنُ بينكم عامةٌ، والناسُ لكم حاقِرونَ مُسْتأثِرُونَ[٥] عليكم بالدِّينِ. وليس من ضَلالَتِهم من شيءٍ إلاَّ وأَنتم على مِثْلِهِ، مَنْ عاشَ منكم عاشَ فيما ذكرتُ من الجَهْلِ والضَّلالةِ، ومَنْ ماتَ منكم ماتَ إلى النَّار، حتى أَخذَ[٦] الله بِنَواصِيكُمْ عمَّا كُنْتُمْ فيه من عبادةِ الأَوْثانِ والتَّقاطع[٧] والتَّدابُرِ[٨] وسُوء ذَاتِ الْبينِ[٩]، فأَنْكَرَ مُنْكِرُكُمْ، وكذَّبَ مُكَذِّبُكُمْ، ونبيُّ اللهِ عَليه السلام، يَدْعُو إلى كتابِ اللهِ وإلى الإِسلام. ثم أَسْلَمَ معه قليلٌ مُسْتَضْعَفُونَ في الأَرض، يَخافُونَ أَنْ يَتخَطَّفَهُم[١٠] النَّاسُ، فآواهم[١١] وأَيَّدَهم بِنَصْرِهِ، ورَزقهم الله مَنْ أَذنِ[١٢] له بالإِسلام، والدُّنيا مَقْبُوضةٌ[١٣] عنه، والله منجز[١٤]

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٥.

(٢) الجَهْدُ: المشَقَّةُ والعَناء.

(٣) الضَّنْكُ: الضِّيق والشِّدَّة.

(٤) تفرُّق الدَّار: تَشَتُّتُ منازِلهم وتَباعُدِها.

(٥) اسْتأثر بالشيءِ على غيرِهِ: خَصَّ به نَفْسَهُ واسْتَبدَّ به، أي انفردَ به.

(٦) أَخَذَ اللهُ بنواصِيكم عمَّا كنتم فيه: النَّاصية: مَنْبِتُ الشَّعر في مُقَدَّمِ الرأس، لا الشَّعرُ الذي تُسَمِّيهِ العامَّةُ النَّاصيةَ، وسُمِّي الشعرُ ناصيةً لنباتِهِ من ذلك المَوْضع. والمعنى صَرَفَكم عما كنتم فيه وخلَّصكم منه.

(٧) التَّقاطُعُ: التَّصادُم والتَّهاجر.

(٨) التَّدابر: التَّعادِي والتَّنافر، وقيل: المُصَارمةُ والهِجْرانُ، ماخوذٌ من انْ يُوَلِّي الرَّجلُ صاحبَهُ دُبُرَهُ وقفاه، ويُعْرِض عنه بِوَجْهِهِ ويَهْجُرَهُ.

(٩) البَيْن: يطلقُ على الفِراقِ ويُطْلَق على الوَصْل.

(١٠) تخطَّف الشيء: اسْتَلَبَهُ وأخذهُ في سرعةٍ.

(١١) آواهُ: ضَمَّهُ إليه وحاطهُ، أي حَفِظَهُ وتَعهَّدَهُ.

(١٢) أذِنَ له بالشيء: أعْلَمَهُ به.

(١٣) مَقْبوضَةٌ عنه: ضَيِّقةٌ عليه، أي هو في عُسْرةٍ وشدَّةٍ.

(١٤) أنجز الوعد: وَفَى به وقضاه.

لرسوله مَوْعُوده[١] الذي ليسَ له خُلْفٌ، فيراهُ مَنْ يراهُ بعيداً إلاَّ قليلاً من المؤمنينَ، فقال[٢]: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾، وقال في بعضِ ما يَعِدهُ والمسلمينَ أن قال[٣]: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾.

فأَنجزَ اللهُ لنبيِّهِ، عليه السلام، وأَهلِ الإِسلامِ مَوْعُودَهم الذي وَعَدَهُمْ، فلم يُعْطِكُمُ اللهُ يا أَهلَ الإِسلامِ ما أَعْطَاكم من ذلك إلاَّ بهذا الذي تَفْلجُونَ[٤] به على خَصْمِكم، وبه تَقُومُون شهداءَ يومَ الْقِيامةِ، ليس لكم نجاةٌ[٥] غَيْرُهُ، ولا حُجَّةٌ ولا حِرْزٌ[٦] ولا مَنعَةٌ[٧] في الدُّنيا والآخرةِ، فإذا أَعطاكم اللهُ منه أَحْسَنَ يوم وُعِدْتُموه فارْجُوا ثوابَ الله فيما بعدَ الموتِ، فإنَّ الله قال[٨]: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾. وإِنِّي أُحَذِّرُكم هذا القرآنَ وتِباعَتَهُ[٩]، فإنَّ تِباعَتَهُ وشُرُوطَهُ قد أَصَابَكم منها أَيَّتُها الأمةُ وقائعُ[١٠] من هِراقةِ[١١] دِماءٍ وخَرابِ دِيارٍ، وتَفَرُّقِ جماعاتٍ، فانْظُروا ما زَجَرَكم[١٢] اللهُ عنه في كتابِهِ فازْدَجِرُوا عنه، فإنْ أَحَقَّ ما خِيفَ وعِيدُ[١٣] اللهِ بقولٍ أَو بعملٍ أَو غيرِ ذلك،

(١) الموعود: الوَعْدُ، مَصْدَرٌ جاء على مَفْعُولٍ.
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣.
(٣) سورة النور: الآية ٥٥.
(٤) فَلَج على خَصْمِهِ: ظَفِرَ به وفاز عليه، أي غلبَهُ وعَلاَهُ.
(٥) النَّجاة: الخلاصُ.
(٦) الحِرْز: المَوْضِعُ الحَصِينُ.
(٧) المَنَعَةُ: العِزُّ، أي الرِّفعَةُ والامتناع.
(٨) سورة القصص: الآية ٨٣.
(٩) التَّبعَةُ والتِّباعَةُ: ما فيه إثمٌ يُتَّبع به.
(١٠) الوَقائع: جمع واقعة، وهي المعركة أو صَدْمةُ الحرب.
(١١) هراقة الدماء: سفكُها وإجراؤها، أي القَتْلُ.
(١٢) زجرهُ عن الشيءِ فازْدَجر: نهاه عنه فانتهى، أي كَفَّ.
(١٣) الوَعيدُ والتَّوعد: التهديد، أي الإنذار بالشر.

فإنْ كانَ بقولٍ في أمرِ الله فَنِعمَّا له، وإنْ كانَ بقولٍ في غيرِ ذلِك فإنَّما يُفضِي إلى سَبِيل هَلَكةٍ(١).

ثم إنَّ ما هَاجَني(٢) على كِتابي هذا أمرٌ ذُكِرَ لي عن رجالٍ من أهلِ البادية، ورجالٍ أَمِرُوا(٣) حَدِيثاً، ظاهرٌ جفاؤُهم(٤)، قليلٌ عملُهُم بأمر اللهِ اغْتَرُّوا(٥) فيه باللهِ غِرَّةً عَظيمةً، ونَسُوا فيه بلاءَه(٦) نسياناً عظيماً، وغيَّرُوا فيه نِعَمَه تَغْيِيراً لم يكن يصلحُ لهم أنْ يَبْلُغُوهُ، وذُكِرَ لي أنَّ رجالاً من أُولئك يَتَحارَبُون(٧) إلى مُضَر وإلى الْيمن، يَزْعُمُونَ أنَّهم ولايةٌ(٨) على مَنْ سواهم، وسبحانَ الله وبحمدِه ما أَبْعَدَهُم من شكرِ نِعْمةِ اللهِ، وأَقربَهم من كُلِّ مهلكةٍ ومَذَلَّةٍ(٩) وصِغرٍ(١٠)، قاتلهم الله أيةَ منزلةٍ نَزَلُوا، ومن أيِّ أَمانٍ خَرَجُوا، أو بأي أمْرٍ لَصِقُوا، ولكنْ قد عرفتُ أنَّ الشقي بنيَّتِهِ(١١) يَشْقَى، وأنَّ النارَ لم تُخْلَقْ باطلاً. أَوَلم يَسْمَعُوا إلى قولِ الله في كتابه(١٢): ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾، وقوله(١٣): ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. وقد ذُكِرَ لي مع ذلك أنَّ رجالاً يَتَداعَوْنَ(١٤) إلى الحِلْف، وقد نَهى رسولُ الله ﷺ عن الحِلْفِ،

(١) الهَلكة: الهلاك، أي العَطَبُ والتَّلَفُ.

(٢) هاجه على الأمر: أثارَهُ وحَرَّكهُ، أو بَعَثَهُ وحَمَلَهُ على فِعْلِهِ.

(٣) أمِرَ القَوْمُ: كثرت أموالهم وارْتَفَعَ شأنُهم.

(٤) الجفاء: غِلَظ الطَّبْع.

(٥) اغْتَرَّ: قَبِل الغرور، أي انْخَدَع.

(٦) البَلاءُ: الإحسانُ والإنعام.

(٧) يَتحارَبُون: يَغْضَبُونَ من الحَربِ، وهو الغضب، أي يَتَعَصَّبُون.

(٨) يقال: هم عليَّ وَلايَةٌ، أي مُجْتَمِعُونَ في النَّصْرة.

(٩) المَذَلَّة: الضَّعَةُ والخِسَّة.

(١٠) الصَّغَرُ والصَّغارُ: الذُّلُّ والهَوانُ.

(١١) النِّيَّةُ: القَصْدُ والاعتقاد، وعَمَلُ القَلْبِ.

(١٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(١٣) سورة المائدة: الآية ٤.

(١٤) يَتَداعَوْنَ: يَدْعُو بَعْضُهم بعضاً حتى يَجْتَمِعُوا. وتَداعَوْا في الحَرْبِ: اعْتَزَوا، وهو أنْ يقولَ: أنا فُلانُ ابنُ فلانٍ، لأنهم يَتَدَاعَوْن بأسمائهم. وفي الحديث: «ما بالُ دعوى الجاهلية»، هو قَوْلُهم: يا لِفُلانٍ، كانوا يَدْعُون بعضُهم بعضاً عند الأمر الحادث الشديد. (اللسان: دعا).

وقال: «لا حِلْف في الإسلام» قال: وما كانَ من حِلْفٍ في الجاهليَّةِ فلم يَزِدْهُ الإسلامُ إلاَّ شِدَّةً، فكان يَرْجُو أَحدٌ من الْفَرِيقَيْن حِفْظَ حِلْفِهِ الفاجرَ الآثمَ الذي فيه مَعْصِيةُ اللهِ ومَعْصِيةُ رَسُولِهِ، وقد تركَ الإسلامَ حينَ انْخَلَعَ[١] منه وأنا أُحَذِّرُ كلَّ مَنْ سَمِعَ كتابي هذا ومَنْ بَلَغهُ أَنْ يَتْخِذَ غيرَ الإسلامِ حِصْناً[٢]، أَو دُونَ الله ودونَ رسولهِ ودونَ المؤمنينَ وَليجةً[٣] تَحْذيراً بعدَ تحذيرٍ، وأُذَكِّرُهم تَذْكيراً بعدَ تذكيرٍ، وأُشْهِدُ عليهم الذي هو آخذٌ بناصيَةِ كلِّ دابَّةٍ، والذي هو أقربُ إلى كلِّ عبدٍ من حَبْلِ الوَريدِ[٤].

وإنِّي لم آلُكُمْ[٥] بالذي كتبتُ به إليكم نُصْحاً مع أَنِّي لو أَعلمُ أَنَّ أَحداً من النَّاس يُحَرِّكُ شيئاً ليُؤْخَذَ له به، أَو ليُدْفَعَ عنه، أَحْرِصُ - والله المستعان - على مَذَلَّتِهِ مَنْ كان: رجلاً أَو عشيرةً أو قبيلةً أَو أَكثرَ من ذلك، فادْعُ إلى نَصِيحتي[٦] وما تَقَدَّمْتُ[٧] إليكم به، فإنه هو الرُّشْدُ ليس له خَفاءٌ، ثم ليكونَ أَهلُ البرِّ وأَهلُ الإيمانِ عَوْناً[٨] بألسنتهم، وإنَّ كثيراً من النَّاس لا يعلمون،. نسأَل اللهَ أَنْ يخلِفَ[٩] فيما بيننا بِخَيْرٍ خِلاَفةً في دِينِنا وأُلْفَتِنا[١٠] وذاتِ بَيْنِنا، والسلام».

---

(١) انخلع من الأمر: خرج منه.

(٢) الحصن: كل موضع حصين، أي منيع، لا يوصل إلى ما في جوفه.

(٣) وَلِيجةُ الرَّجل: بِطانَتُهُ وخَاصَّتُهُ ودِخْلَتُهُ.

(٤) الوريد: عِرْقٌ تحت اللسان.

(٥) لم آلكمْ نُصْحاً: لم أفُتْرْ ولم أقصّرْ.

(٦) النَّصيحة: الإخلاصُ والصِّدْق.

(٧) تَقَدَّم إليه بالشيء: أمَرَهُ به.

(٨) العَوْن: الظَّهيرُ على الأمْرِ.

(٩) يقال لمن هَلَكَ له ما يُعْتَاضُ منه أو ذَهَبَ من ولدٍ أو مالٍ: أخلَفَ اللهُ عليك خيراً، أي أبْدَلَكَ مما ذَهَبَ منك وعَوَّضَك عنه. ويقال لمن هلك له ما لا يُعْتَاضُ منه كالأب والأمّ والعمّ: خلفَ اللهُ عليك بخير، أي كان خليفَتَهُ عليك. والإخْلاَفُ: أنْ يُهْلِكَ الرَّجُل شيئاً لنفسِهِ أو لِغَيْرِهِ، ثم يُحْدِثَ مِثْلَهُ.

(١٠) الأُلْفَة: المحبَّة.

٣ ـ رسالةٌ من عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى أهلِ البصرة:

أنساب الأشراف ٨: ١٣٦

كتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى أهْلِ البَصْرةِ كتاباً ذَكَرَ فيه يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ، فقال:

«إِنَّهُ لم يَكُنْ من أَئِمَّةِ الهُدَى[١]، ولا الأعوانِ[٢] على التَّقْوَى».

(١) الهُدَى: الرَّشادُ.

(٢) الأعْوانُ: جمع عَوْنٍ، وهو الظَّهِيرُ على الأمْرِ.

obeikandl.com